

مسرحية من فصل واحد

بثلاثة مشاهد

الهميان*

«المشهد الأول»

حي في قرية. المطر ينهمر غزيراً. والساعة متأخرة من الليل وإلى جانب الطريق انكب رجل في أواسط العمر فوق إناء قد تحطم شظايا، وانكفاً ما فيه من لبن على الأرض، وكان الرجل يتأمل اللبن المسفوح بوجه كاسف حزين، وهو يحوّل ويرجع.

- الرجل: (وهو يشير بيديه كأنه مذهول) لا حول ولا قوة إلا بالله.. لا حول ولا قوة إلا بالله يارب، ما هذه المصائب التي تلاحقني من مكان إلى مكان؟ أكتب علي أن يظلّ النحس مواكباً لي حتى آخر العمر.. اللهم لا اعتراض لحكمك وإني راض بابتلائك.. ولكن ماذا أصنع الآن من أجل المرأة المريضة؟ من أين أحضر لها ما تتقوى به؟ ليس في جيبتي قرش واحد، شريت لها بجميع ما ادخرته اليوم هذا اللبن الذي انسفح على الأرض..

«تفتح فجأة نافذة صغيرة من أحد البيوت المطلة على الطريق ويبدو منها رجل وقور، سمع الجلبة في هذا الليل السّاكن، فأطّل يستطلع الخبر.. فرأى الرجل على وضعه الغريب، وهو يغمغم بحسرة.»

الرجل: اللهم، قضاؤك لا يُردّ.. ساعد عبدك الفقير وهنيء له من الأمر رشداً

صاحب المنزل «من النافذة وقد استبان له الرجل»: ويحك أيها الرجل! ما بك؟ من أنت؟ وما هذه الضجة بعد منتصف الليل؟

الرجل «يتنبّه مذعوراً إلى الصّوت، فيرفع رأسه



باتجاهه»: من أنت؟

صاحب المنزل: أنا صاحب هذا البيت الذي أقلق راحة أصحابه.. الرجل: إني آسف أيها السيد الكريم لا تؤاخذني، سأنصرف في الحال «ينفض من إكبابته، ويهمّ بالانصراف» صاحب المنزل: ولكن ما بك يا أخي؟ ما قصتك؟ إن أمرك مريب، هل أصابك مكروه؟

الرجل: دع الآن مما أصابني، وادخل بيتك لتتعم بالراحة والهدوء، بعدما سببت لك ما سببت من الإزعاج.. صاحب المنزل: حقاً.. إن أمرك غريب أيها الرجل.. أخبرني يا أخا الإسلام ماذا جرى لك.. لعلني أصنع لك شيئاً

الرجل «وهو يتطلع إلى صاحب المنزل في نافذته» تصنع لي؟ ماذا تصنع لإنسان تعس يلازمه سوء الحظ أينما

سار؟

صاحب المنزل: أيها الرجل! لقد شغلت بالي، وأثرت فضولي، وإني أقسم عليك لتخبرني ما قصتك؟

الرجل: «يطرق ولا يجيب»

صاحب المنزل: إني نازل إليك..

«يخترق من النافذة، ثم يظهر بعد قليل أمام باب بيته»: تعال يا أخي.. كيف أطلقت الخروج في هذا الجو البارد المطر، لابد أن أمراً ذا بال حملك على ذلك، تفضل يا أخي..

«يتردد الرجل قليلاً، ولكن صاحب المنزل يسحبه



بقلم: د. وليد قصاب

من ذراعه، فيدخل»

دنانير كثيرة، وجواهر وفيرة تساوي ثلاثة آلاف دينار أو أكثر..

«يتوقف الرجل عن الكلام»

صاحب المنزل «مستحشاً وقد بدأ العجب يأخذ منه»: «هيه.. ثم ماذا أيها الرجل؟

الرجل: فلما كنت في بعض الطريق نزلت لأقضي حاجة من حاجاتي فأنحل الحزام الذي كنت أربط به الهيئان إلى وسطي وسقط مني من غير أن أشعر به، ولم أتنبه إلى سقوطه إلا بعد أن قطعت بنا القافلة مسافة بعيدة جداً.

صاحب المنزل «وهو ما يزال في دهشته»: «أكمل أيها الرجل.. ثم ماذا؟

الرجل: لم أبال بثلاثة آلاف الدينار التي ضاعت مني على ضخامة هذا المبلغ وعظمته لأنني كنت موسراً وعندي من ذلك الكثير، ولم أفكر في الرجوع للبحث عن الهيئان خشية أن أتأخر في الطريق فيفوتني الحج.

صاحب المنزل «في استغراق ودهشة»: «هميان فيه ثلاثة آلاف دينار؟ إن ذا والله من العجب.

الرجل: أجل ياسيدي، لم أبال بهذا الهيئان يومذاك، فقد كان عندي مال كثير وتجارة عريضة.. استدنت بعض المال من بعض رفقائي في الرحلة، فقضيت حجي وعدت إلى بلدي.. وأمر الهيئان أهون الأمور عندي.

صاحب المنزل: أهون الأمور! عجباً.. تقول كان فيه ثروة تقدر بثلاثة آلاف دينار؟

الرجل: نعم، كانك لا تصدقني.. كانك لا تصدق أن هذا الرجل البائس الذي رأيته يبكي منذ لحظات على إناء لبن انكفأ منه كان يملك في يوم من الأيام مثل هذه الثروة.

صاحب المنزل «في استغراقه»: «أنت صاحب الهيئان إذن؟

الرجل: أجل يا أخي.. وإنك لمعذور إذ لم تصدق

صاحب المنزل: وما صفة هذا الهيئان؟ هل تتذكر؟..

الرجل «باستغراب»: «نعم، مازلت أتذكر.. كان هميئان من ديباج أسود..

صاحب المنزل «يصيح بدهشة»: «هميان «من ديباج أسود»؟ يا إلهي..

الرجل: عجباً لك يا أخي.. مازلت تأبى أن تصدقني

صاحب المنزل: أبداً.. أبداً.. ولكنني مستغرب من أمر هذا

الهيئان.. والآن قل لي ماذا حصل لك بعد ذلك؟

الرجل: تتابع علي بعد عودتي إلى بلدي سنوات نحس، كسدت التجارة، وتلاحقت الخسارة، ورحت أفقد ثروتني شيئاً فشيئاً وكنت كلما عضتني الشدة في بلدة تحولت إلى أخرى لعلها تكون أكثر بركة وخيراً.. ولكن من غير فائدة، فقد الله لا مهرب منه، وهو

«المشهد الثاني»

«صاحب المنزل والرجل في غرفة واسعة ذات فرش وثير توشي بيسار الحال، وقد جلس الرجلان قبالة بعضهما بعضاً»
صاحب المنزل: أهلاً بك يا أخا الإسلام.. أرجو أن يكون روعك قد هدأ..

الرجل «على استحياء»: أشرك أيها الرجل الطيب.. وأعتذر إليك مرة أخرى عن كل ما أحدثته لك من إقلاق في هذا الليل..

صاحب المنزل: لا تقل هذا يا رجل.. الناس للناس.. والآن أرح نفسك، وانفض عنها بعض ما يقلقك من الكرب..

الرجل: «وقد انشرح صدره بحفاوة صاحبه» أشرك يا سيدي، والآن دعني أنصرف فقد تركت ورائي امرأة مريضة تنتظر عودتي على أحر من الجمر..

صاحب المنزل «بدهشة»: امرأة مريضة؟

الرجل: نعم، يا سيدي، إنها زوجي، خرجت ألتمس لها شيئاً تتبلع به بعد أن نفذ ما عندنا.

صاحب المنزل «مقاطعاً»: ها.. وماذا حصل؟

الرجل: خرجت بدانق ونصف، ما عندي غيرهما ألتمس لها شيئاً من لبن بعد أن ساءت حالها واحتاجت إلى الغذاء.. ورحت أخبط في الظلمة والمطر حتى وافيت بائعاً أشفق علي، وأعطاني بتلك القطع بعضاً من اللبن.. وأعارني إناءً من الفخار جعلت ذلك فيه، ورحت أنطلق نحو زوجتي والدنيا لا تكاد تسعني من الفرحة.. وما إن وصلت إلى قرب منزلك حتى انزلقت قدمي ووقعت على الأرض، فانكسر الإناء.. وانكفأ جميع ما فيه..

صاحب المنزل: ما أعجب الدنيا حقاً.. أكل هذا الحزن الذي يطل من عينيك بسبب بعض اللبن؟

الرجل: أجل يا سيدي، بعض اللبن أحمله لامرأة مريضة هي في أمس الحاجة إليه، فقد أصابها الضر والجوع.. وأنا لا أملك من النقود إلا ما شريت به هذا اللبن، بل أنا الآن مدين للبائع بثمان الإناء الذي انكسر..

صاحب المنزل: حسناً يا أخي.. هوّن عليك.. سيحدث الله من بعد عسر يسراً.. والآن قل لي.. كانك غريب عن هذه القرية؟

الرجل: أجل ياسيدي، أنا غريب عنها.. لقد تركت بلدة سوء بعد عام نحس تتابع علي المحن فيه..

صاحب المنزل: عام نحس!..

الرجل: نعم والله، لقد كنت امرأة موسراً، كنت تاجراً من التجار الكبار، ذا أموال كثيرة، وبضاعة عظيمة، فقصدت في بعض الأعوام إلي الحج وزيارة النبي ﷺ، وكان معي في رحلتي تلك هميان فيه

يلاحقني من مكان إلى مكان.. وأخيراً صرت إلى هذه القرية.. وقد ساءت أحوالنا كثيراً، مرضت زوجي مرضاً شديداً، ولم أعد أملك من حطام الدنيا شيئاً إلا دانقا أو دانقين اكسبهما في اليوم الواحد أحياناً.

صاحب المنزل «مبتسماً»: والهميان.. أمازلت تفكر فيه؟
الرجل: لم أعد أفكر إلا في مرض امرأتي.. وأدعو الله لها بالشفاء.. والآن أستودعك الله يا سيدي.. لقد أزعجتك بصحبي في الليل، ثم بالحديث عن همومي وأحزاني «يتحرك للنهوض»

صاحب المنزل «يوقفه»: انتظرني قليلاً أيها الرجل
«ينسل إلى داخل المنزل تاركاً الرجل وحده مطرقاً بحزن، ثم يعود بعد لحظات حاملاً بيده صرة»: خذ هذا يا أخي فتدبر به نفسك..

الرجل: ما هذا؟

صاحب المنزل: إنه بعض من دين قديم.

الرجل «باستغراب»: دين؟

صاحب المنزل: أعني أنه دين تردده عندما تتيسر أمورك.. خذ يا رجل، ولا تتردد

الرجل: «يمد يده باستحياء»: شكر الله لك.. وأكثر من أمثالك..
صاحب المنزل: لا تشكرني يا رجل.. والآن هيا بنا نحضر امرأتك إلى هنا لتعنى بها النساء، فهن أخبر بشؤون بعضهن.
«يخرج الرجلان لإحضار المرأة المريضة»

«المشهد الثالث»

الرجل وصاحب المنزل في الغرفة نفسها بعد مرور ثلاث سنوات على تلك الحادثة..

صاحب المنزل: والآن يا أخي.. نحن صديقان، منذ ثلاث سنوات.. وأنت اليوم تاجر كبير كما كنت في صدر حياتك.. ولت أيام الشدة وفرج الله عنك.. فأجري الخير في يدك.. وقد رأيت أنه آن الأوان لتحدث في الدين القديم..

الرجل «مستغرباً»: الدين القديم؟.. ماذا تعني؟

صاحب المنزل: عد بالذاكرة يا أخي إلى أيام زمان.. وحاول أن تسترجع بعض الأحداث.

الرجل: أي أحداث تعني؟

صاحب المنزل: الهميان..

الرجل: الهميان!

صاحب المنزل: أجل.. كنت في رحلة إلى الحج، وكان معك هميان فيه دنائيرك وجواهرك الثمينة.. أليس كذلك؟

الرجل «في حالة استغراب»: بلى..

صاحب المنزل: وكان الهميان من ديباح أسود.. أليس كذلك؟

الرجل: بلى.. بلى.. ولكن.

صاحب المنزل «مقاطعاً»: ضاع منك الهميان في تلك الرحلة؟

الرجل: أجل.. أجل.. ولكن مالنا وهذا الحديث.. وما علاقته بدين سويناه منذ مدة؟

صاحب المنزل: الهميان دين لم نُسوّه.

الرجل: الهميان.. الهميان.. إنك لا تفتأ تتحدث عنه بين الحين والآخر.

صاحب المنزل: كان من ديباح أسود

الرجل: ذلك عهد مضى.. ما الذي أذكرك به الآن؟

صاحب المنزل: «يمد يده إلى صدره فيخرج شيئاً»: أنا لم أنسه يوماً، خذ هذا وانظر إليه، أليس هو هميانك القديم المفقود؟..

الرجل «يتأمل مذهولاً في هميان دفعه إليه صاحب المنزل»: بلى والله! إنه هو.. أهدتني أمي ذات يوم، وهذا أول حرفة من اسمي عليه.. يا إلهي.. أهذا معقول؟ أياكون هذا هميانني الذي فقدته منذ سنين؟

صاحب المنزل: إنه هميانك يا أخي.. عثرت عليه منذ سنوات بعيدة، ولم أقصر في البحث عن صاحبه.. ولكن من غير جدوى.. فاحتفظت بقسم مما فيه عندي، واستثمرت القسم الآخر في التجارة حتى ربا ونما وصار ببركة الله ثروة طائلة..

الرجل «غير مصدق»: ماذا تقول؟

صاحب المنزل: حتى كانت تلك الليلة التي التقينا فيها.. وحدثتني ما حدثتني من أمر الهميان وصفته فعرفت أنه هميانك، وعرفت أنك الرجل الذي أبحث عنه منذ سنين كي أدفع إليه حقه..

الرجل «وهو مأخوذ من الدهشة»: ولماذا لم تحدثني بذلك عندما التقينا منذ ثلاث سنين؟

صاحب المنزل: كدت أفعل.. بل هممت أن أدفع إليك مالك وقد رأيت ما رأيت من سوء حالك ولكني خشيت أن تقتلك الفرحة الزائدة وأنت في هذا الكرب، كما خشيت أن يكون سوء الطالع ما يزال ملازماً لك، فيذهب المال بذكاء.. فآثرت أن أدفع إليك شيئاً وراء شيء حتى عرفت أن وجه الدهر بدأ يبتسم لك، وأن فرج الله قد عاد يغمرك من جديد.. والآن يا أخي! هذا هميانك بارك الله لك فيه.. ولك في تجارتني حظ كبير أقسمه لك..

الرجل «مذهولاً»: اللهم لك الحمد.. أهذا معقول؟

صاحب المنزل: كل شيء معقول.. أحمد الله أن ردّ عليك ما ضاع منك، وأحمد الله أن أعانني على حفظ الحق وردّه إلى صاحبه..

«هنا»

الهميان: كيس للنقفة يُشد في الوسط